تنهاوزر

الزمن: بداية القرن الثالث عشر

المكان: قرب إيزنباخ

قصة "تنهاوزر" وضعت قرب ورتبرغ، حيث في القرن الثالث عشر كان لعائلـة لانـدجريف سلطان على وادي شورنج. كانوا محبين للفنون، وخصوصا الشعر والموسيقى، ويقام عدد مـن المسابقات السلمية بين الشعراء الجوالين. قريبا من قصر لاندجريف كانت فينوسبرج. وحـسب الأسطورة كان ذلك الجبل مسكونا بهولدا آلهة الربيع، وكانت أحيانا تُسمى آلهة الحب فينـوس. صالتها كانت مليئة بالحوريات وعرائس الماء اللواتي بأغاني الحب يغوين فرسـان ورتبـرغ ليأتوا إلى الجبل، ويجعلونهم أسرى جمالها.

بين أولئك الذين أغوتهم إلى منتجعها الوردي كان تنهاوزر. يرفع الستار كاشـفا عـن سـحر فينوسبرغ. تنهاوزر ينام بين ذراعي فينوس وهي مستلقية في مضجعها بين الزهور. حوريات عرائس ماء، آلهة صغيرة شبقة ترقص حولهم، ومغاور حية بالعشّاق، مختلف ألـوان العـشق الميثولوجي مثل ليدا والبجعة كلّها تستمر وتُشاهد بشكل خفيف. بالرغم من جمال فينوس، كان تنهاوزر تعبا من سحرها، ويريد أن يأخذ لمحة عن العالم حوله. ويبـدو أنـه سـمع بـرنين الأجراس، وأصوات أرضية أخرى، وكل هذه الأشياء كانت تحفّز عنده الشوق ليتحـرر مـن سحرها.

عبثا كانت تتنبأ له بخيبة الأمل لو عاد إلى الدنيا. على أمل أن يعود إلى رحمة العذراء، وينتزع نفسه منها. وفي واحدة من ألمع وأسرع التأثيرات المسرحية يختفي بلاط فينوس وفي لحظة يجد تنهاوزر نفسه متمددا أمام الصليب في واد تطلّ عليه ورتبرغ في سلام، ويشاهد الحجاج يمرون منه في طريقهم إلى روما. تنهاوزر يفكّر في الانضمام إليهم حتى تغفر له روما خطيئته لأنـه سمح لنفسه أن يغوى إلى فينوسبرغ. ولكن في تلك اللحظة يعود لاندجريف وبعـض الـشعراء الجوالين من الصيد ويتعرفون عليه، ويحاولون أن يقنعوه بالعودة إلى ورتبرغ معهم . رجاؤهم ذهب أدراج الرياح، حتى أخبره أحدهم وهو ولغرام فون ازنباخ، أنه منذ غادر ورتنبرغ تملّـك إليزابيث ابنة أخ لاندجريف حزن عظيم. كان من الواضح أن تنهاوزر يعشقها لجمالها وفضيلتها وأنه يندم بعمق لأن فينوسبرغ تغويه. لقد هزّ ولغرام مشاعره بحدة، ولفرح الجميع يوافق على العودة إلى ورتنبرغ. المشهد مليء بانتصارات الشعراء الجوالين في مسابقة غنائية.

لاندجريف، حين يتأكّد له أن تنهاوزر سيكسب جائزة المسابقة في الغناء، يرغب أن يعطي يـد ابنة أخيه للفائز. الشعراء الجوالون يغنّون جمال الحب الفاضل ولكن تنهاوزر يذكر فجأة الإثارة والسحر في فينوسبرغ فلا يملك أن يتحكّم في مشاعره، وينفجر في ترتيلة طائـشة فـي مـدح فينوس. يصاب الجميع بالذعر ويشهرون أسلحتهم في وجهه يريدون ذبحه، ولكـن أليزابيـث ترمي بنفسها بينهم وبينه. ويقف تنهاوزر وراءها مسحوقا نادما، ولكن لاندجريف يتأثّر برغبتها في تضحية نفسها من أجل حبيبها الخاطئ ويعلن عن رغبته في إرسال تنهاوزر لينـضم إلـى دفعة ثانية من الحجاج الذاهبين إلى روما ليتضرع إلى البابا أن يغفر له.

أليزابيث تنتظر عودته وهي تصلّي راكعة أمام الصليب، أمام ورتبرغ يمر الحجاج ولكنهـا لا ترى تنهاوزر بينهم. تعود إلى القصر حزينة راغبة بالموت. حين يتلاشى أصـوات الحجـاج وهي راجعة إلى القصر يبقى وولغرام الذي يحبها من أعماق قلبه. يظهر تنهاوزر، تعبا منبوذا. لقد حاول التوبة والغفران عبثا. فالبابا حرمه إلى الأبد. وبعد أن وجد أنه لن يتوقّع الغفران اراد أن يرتد إلى فينوسبرغ. يحاول ولغرام صده، ولكنه لم يستطع حتى أخبره أن أليزابيث قد أُنقذته و أنه قد غفر له لأن ملاكها في السماء يصلي له. يمر موكب ويعرف بأن أليزابيث في النعش، يهبط فوق جثمانها ويموت. وحينذاك تمر جماعة من الحجاج حاملين عماد تنهاوزر الذي أزهر شاهدين على أن خطاياه كلّها قد غُفرت له.

قطعة موسيقية

حين تصل الأوبرا إلى نهايتها كورس الحجاج يتلاشى ولكن فجأة بمفارقـة دراميـة موسـيقى النهاية كانت تصف بشكل عجيب حي، وصفاء رائع المشهد الغاوي المتعدد الألوان لبلاط الإلهة الدنسة، والتي تليها أغنية تنهاوزر في الثناء على فينوس، وبعد هذا تصخب الموسيقى بتهديـد لاندجريف والشعراء الجوالين حين شهروا السيوف لقتل تنهاوزر انتقاما له بسبب خطاياه. تلك الأحداث هي عقدة الدراما وتنتهي بكورس الحجاج كغفران نهائي لتنهاوزر.

* * *